مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ تيموثاوس ٤: ٩–١٥)

يا إخوةُ صادقةٌ هي الكلمةُ وجديرةٌ بكلِّ قبولٍ* فإنَّا لهذا نتعَبُ ونُعيَّرُ لأنَّا ألقينا رجاءَنا على اللهِ الحيِّ الذي هو مخلِّصُ الناسِ أجمعين ولا سيَّما المؤمنين* فَوصِّ بهذا وعلِّمْ به* لا يستَهِنْ أحدٌ بفتوَّتِك بل كُنْ مثالاً للمؤمنينَ في الكلامِ والتصرُّفِ والمحبَّةِ والإيمانِ والعَفاف* واظِبْ على القراءةِ إلى حينِ قدومي وعلى الوعظِ والتعليم* ولا تُهمِلِ الموهِبَةَ التي فيك التي أُوتيتَها بنبوَّةٍ بوضعِ أيدي الكهنة* تأمَّلْ في ذلك وكُنْ عليهِ عاكِفاً ليكونَ تقدُّمُكَ ظاهراً في كلِّ شيءٍ.

المسيح وزكّا

في توطئة سريعة نشير إلى أن أريحا، حيث تجري أحداث النص الإنجيلي الذي يُقرأ على مسامعنا هذا الأحد (لو ١٩: ١–١٠)، كانت في تلك الأيام ثاني أكبر مدن اليهودية بعد أورشليم، مساحةً وعدد سكان. والأهم أنها كانت محور التبادلات التجارية إن بين مدن اليهودية، أو بين اليهودية والممالك المحيطة بها. في أريحا إذاً مال كثير، وبالتالي رئيس عشاريها إنسان ذو شأن وسلطان في المجتمع، وهو ذو ثراء كثير. ومع هذا، نراه هنا لم يخجل من تسلّق الجميزة كالصبيان، لم يُعِر احتمال هزء الناس به اهتماماً. همّه كان أن يرى يسوع وحسب.

نعود إلى الإنجيل. حادثة اللقاء مع زكّا تسبقها في السياق الإنجيلي حادثة شفاء الأعمى الذي كان «جالساً على الطريق يستعطي» ولما سمع أن «يسوع الناصري مجتاز صرخ قائلاً يا يسوع ابن داود ارحمني. فانتهره المتقدّمون ليسكت أما هو فصرخ أكثر كثيراً» (لو ١٨: ٣٥–٣٩). في الحادثتين ثمّة مَن يطلب أن «يرى»، الأول يعوقه عماه والثاني قصر قامته. في كلا الحادثتين تحول الجموع بين الرجل ويسوع. وفي الحالتين نرى الرجل متجاوزاً الجموع: الأعمى بازدياد الصراخ، وزكا بتسلّق الجميزة. في الحادثتين ثمّة مَن يشتهي، بصدق، الاتصال بيسوع. والقاسم المشترك بين الحادثتين أن لا المعوقات الذاتية ولا الموانع الخارجية، مهما قست، يمكنها أن تعزلك عن الرب يسوع أو تعزل الرب عنك، إن أنت أردت بصدق أن تراه. أريحا تلك الأيام تشبه تماماً حياتنا اليوم: كثرة اهتماماتها وعجقتها، وأهمية الاندماج المجتمعي، تعمينا عن يسوع وتحدّ من قامتنا فنصبح أقرب إلى الأرض منّا إلى السماء. أريحا لم تذهب إلى يسوع، بل هو أتى إليها «مجتازاً»، أي متنقلاً في أحيائها، ناشراً بركة وفعلَ حضوره الإلهي «ليطلب ويخلص ما قد هلك». شيء من هذا لم يتغيّر. يسوع ربّنا ما زال هنا، والمعادلة ما زالت هي هي للخلاص: أن تعي وتدرك أن يسوع هنا، وأنك محتاج إليه، وأن تتعالى على معوقاتك، أمن ذاتك كانت هذه المعوقات أم مما يحيط بك. إذ ذاك

العدد ٢٠١٣/٥

الأحد ٣ شباط

تذكار القديس سمعان الشيخ والقديسة حنة النبيّة

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(لوقا ١٩: ١–١٠)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ مجتازٌ في أريحا إذا برجل اسمُه زكَّا كان رئيساً على العشَّارين وكان غنيًّا* وكان يلتمِسُ أن يرى يسوعَ مَن هو فلم يكن يستطيعُ من الجمع لأنّه كان قصيرَ القامة* فتقدَّم مسرعاً وصعِدَ إلى جمَّيزةٍ ليَنظُرَهُ لأنَّه كان مُزمِعاً أن يجتازَ بها* فلمَّا انتهى يسوعُ إلى الموضع رفع طَرْفَهُ فرآهُ فقال له يا زكَّا أسرِعِ انزِلْ فاليومَ ينبغي لي أن أمكُثَ في بيتك* فأسرعَ ونزلَ وقبِلهُ فرِحاً* فلمَّا رأى الجميعُ ذلك تذمَّروا قائلين إنَّه دخل ليحُلَّ عند رجلٍ خاطئ* فوقف زكَّا وقال ليسوعَ هأنذا يا ربُّ أُعطي المساكينَ نِصْفَ أموالي. وإن كنتُ قد غَبَنْتُ أحداً في شيءٍ أَرُدُّ أربعةَ أضعافٍ* فقال له يسوعُ اليومَ قد حصلَ الخلاصُ لهذا البيتِ لأنَّه هو أيضاً ابنُ إبرهيم* لأنَّ ابنَ البشرِ إنَّما أتى ليطلُبَ ويُخلِّصَ ما قد هلك.

فقط ترى يسوع يقف ويناديك باسمك. «مَن يسمع فليقل تعال، ومَن يعطش فليأتِ، ومَن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً»، يقول السيد الرب (رؤيا ٢٢: ١٧). أنت ما عليك إلا أن تقْدِم.

لم يقدر زكا أن يرى السيد مجتازاً أولاً بسبب الجموع وثانياً بسبب قصر قامته. لا شكّ أن ذكر هذين العائقين هو أبعد من مجرّد السرد الروائي، والإنجيل كما نعلم ليس نصاً روائياً. الإنسان منذ سقط بات عالقاً في «لا ترتيب» أولوياته، في تشابكها وحتى تضاربها أحياناً. التمييز هو من المواهب الإلهية الأصيلة التي أضاعها الإنسان لما انفصل عن الله. إعادة الإتصال بين الإنسان والله، وهي الرغبة الأسمى وأولى الأولويات، تبقى ضائعة في فوضى الرغبات السطحية والأولويات الزائفة. وحده ذاك اليقين الثلاثي الذي تحدّثنا عنه أعلاه يعيد ترتيب الأولويات: «أطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلها تزاد لكم»، يقول السيد الرب (متى ٦: ٣٣).

زكا إذاً اشتهى أن يرى يسوع، فكانت فاتحة خلاصه. إذ ذاك أقدم فتسلّق الجميزة، ونقول «أقدم» لأنّه كمّل الرغبة بالفعل، وإن كان تسلّقه الشجرة سوف يأتي عليه بهزء الناس. وفي الإقدام جرأة. الأساس أنه حمل رغبته السامية وارتقى بها فوق ما سميناه قبلاً فوضى الأولويات. كالعادة، أتى فعل الرب يسوع سبّاقاً فرآه وناداه قبل أن يراه زكا نفسه. «يا زكا أسرع وانزل». ناداه السيد باسمه، لأنه عرفه وعرف هذا التوق الذي في داخله إلى الرب. واستعجله، كأننا بالرب يسوع يقول له «أسرع فأنا مشتاق لأخلصك». يسوع المسيح هو الراعي الصالح الذي يعرف خرافه ويدعوها «بأسماء ويخرجها» (يو ١٠: ٤). أما خرافه «الخاصة» فهم ليسوا فئة مختارة دون سواهم من الناس، بل كل الذين يشتهون لقياه، بصدق، وبالتالي يقبلونه راعياً.

«ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك». السيّد سبّاق من جديد. مرة جديدة نرى السائل ينال أكثر مما اشتهى حتى أن يتمنى. لم يدعُه زكا إلى بيته، بالأحرى لم يُتح له ذلك، لأن السيد بادره بقوة، بالـ«ينبغي» وبالـ«أن أمكث». القوة في «ينبغي» أنها تختصر تدبير الرب الخلاصي، وكأنها تعني «هذه مهمتي، من أجل هذا (خلاصك) أنا أتيت». هذا الـ«ينبغي» هو ما دفع بالإله الذي «به كل شيء كان ومن غيره لم يكن شيء من ما كان» (يو ١: ٣) إلى النزول من عرش مجد مُلكه ليُقدِّسنا. أما الـ«أمكث» فلأن الرب لا يجتاز بمريديه عابراً بل هو أتى «ليمكث» عندهم. الرب مقيم في مَن يؤمن به ويحفظ له في كيانه مقاماً. إذ ذاك نزل زكّا «وأسرع وقَبِلَه فرحاً». كيف لمن يلتقي رحمة الله، أو بالأحرى من تلتقيه رحمة الله، أن لا يقبلها بفرح عظيم؟ إنها فرحة التائب الذي وإن كان عارفاً بإثمه يهرع إلى الله، فرِحاً بعودة الحياة إليه.

الناس تذمّروا من زكا «الخاطئ»، ومن يسوع إذ أتى ليبيت عنده، لا لأنهم بلا خطيئة، بل لأنهم ليسوا تائبين، بل وهم ليسوا حتى ساعين إلى التوبة. هذا هو الفرق، ولعله ليس الوحيد، بينهم وبين زكا. فالإنجيلي يروي لنا أن زكا، وإن كان عشاراً، كان يفوق بعطاءاته وإحساناته المادية ما أمر به الشرع الموسوي، وحتى أحكام القانون

تأمل

الطمع كالخميرة الفاسدة التي تُفسد العجين كلّه. هكذا إن ربحت من الظلم ولو قليلاً، فكلّ ثروتك ستتبدّد. لذلك كثيراً ما تصير المكاسب غير الشرعية سبباً لفقدانٍ أكبر بكثير للمكاسب الشرعية.

لكنّك ستسألني، هل ستحلّ الكوارث بكل الطمّاعين؟ بكلّ تأكيد، مع أنّهم لن يجرّبوها نفسها كلّهم. إنّهم وإن لم يعاقبوا في الحياة الحاضرة، يجب أن تحزن عليهم أكثر لأنّ جحيماً أكبر تنتظرهم في الحياة الآتية. طبعاً في هذه الحالة، فإنّ نتائج مظالمهم سيتحملها على الأرض ورثة ثروتهم، بما أنّهم يعرفون أنّهم يملكون خيرات جُمعت بالظّلم، وهي تخصّ آخرين. إلى ذلك، فهذا يفرضه الناموس البشري الإنساني الذي يعطي الحق لكلّ فرد بأن يطالب بما له ليس من الذي سلبه إيّاه، بل من أيّ شخص تكون هذه الخيرات في حوزته.

إذاً، إن عرفتَ أولئك الذين ظُلموا، فأعطهم كلّ ما يخصّهم، أو ربما أكثر، كما فعل زكّا في الإنجيل، وإن كنت لا تعرفهم وزعها على الفقراء. وهكذا ستبعد المصيبة التي تهدّدك، لأنّك

المدني الروماني السائد آنذاك. هم يتذمرون حسداً، لأن خلاص هذا الإنسان لا يعنيهم، لأن المحبة كما أوصى بها الله لا تعنيهم. ولعلّ سعيه إلى التقاء المخلّص ذكرهم بـ«كسلهم». الرب يسوع لا يقرف من مجالسة خاطئ تائب، لأن الطبيب لا يقرف من جروح مريضه. الرب يسوع يعنيه خلاص هذا الإنسان، لأنه من أجل هذا أتى، والخلاص نفسه متاح للمتذمرين أيضاً، فقط إن هم تابوا وأحبّوا.

«اليوم حصل خلاص لهذا البيت»، يقول الرب يسوع. فهذا الإنسان الذي «هو أيضاً ابن إبرهيم»، لما اشتهى التقاء المخلّص، وكأنه تقدم بطلب الإنتماء إلى هوية أهل بيت الله، قُبِلَ طلبه لمّا ناداه السيد باسمه. ولمّا دخل بيته وجلس إلى مائدته، منح الرب يسوع زكا هويته الجديدة وعلى الملأ لعل السامعين يشتهون ما اشتهاه زكا، ويترفّعون عن قصر ذواتهم كما ترفّع زكا، فيكون لهم ما كان لزكا... وعلى مائدة الرب أماكن كثيرة (لو ١٤: ١٦–٢٣).

شوق سمعان

احتفلت الكنيسة المقدّسة في الثاني من شباط بدخول السيد إلى الهيكل. وفي اليوم الذي يلي هذا العيد نقيم تذكار سمعان الشيخ وحنّة النبيّة اللذين كانا في الهيكل. يأتي هذا العيد في إطار تعييد الكنيسة في ثاني أيام الأعياد الكبرى للأشخاص الذين كان لهم دور أساسي في هذه الأعياد. على سبيل المثال نعيّد في ثاني أيام عيد الظهور الإلهي للقديس يوحنا المعمدان، وفي ثاني أيام عيد الميلاد للعذراء مريم ويوسف خطيبها.

كانت حنة النبيّة متقدِّمة في السن وهي أرملة منذ نحو أربع وثمانين سنة تعيش في «الهيكل عابدةً بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً. فهي في تلك الساعة وقفت تسبِّح الرب وتكلَّمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم» (لو ٢: ٣٧–٣٨). أما سمعان الشيخ الذي حمل السيّد على ذراعيه وقدّمه للهيكل فهو على حسب ما يشير الإنجيلي لوقا «كان بارًّا تقيّاً ينتظر تعزية إسرائيل... وكان قد أُوحي إليه بالروح القدس أنّه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب» (لو ٢: ٢٥–٢٦). ما سنتطرّق إليه في حياة هذا الإنسان هو أنّه كان «مُنتظراً» أي لديه رجاءٌ لرؤية مخلّص إسرائيل. إنّه «الشوق الإلهي».

إن القربى من الله تزيد الإنسان سلاماً ونعمةً. هذه حال سمعان الذي كان بارًّا كما أشار الإنجيلي لوقا. سمع الوعد الإلهي فعاش منتظراً أن يعاين مسيح الرب. وكأنّ سمعان سبق وأدرك قول ذاك الطفل المحمول على يديه حين كبُر إذ قال «لتكن أحقاؤكم ممنطقةً وسرجكم موقدةً وأنتم مثل أناس ينتظرون سيّدهم متى يرجع من العرس، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت» (لو١٢:٣٥–٣٦). الرب الإله يستعلن لمتواضعي القلوب والذين هم أرضٌ خصبة لنموّ الكلمة الإلهيّة. ولا شكّ أنّ سمعان كان من هذه الطينة. لقد كان بارًّا وتقيّاً فاستأهل أن ينال وعداً إلهيًّا. هذا الوعد أشعل فيه شوقاً لا تكبّراً، شوقاً لرؤية المخلّص. حافظ على نفسه لكي يظلّ

إن أرجعتَ فقط كلّ ما سلبتَ أو ورثتَ من الطمّاع السارق فلن تحقّق أيّ ربح. هذا يبدو جلياً في حالة زكّا التي ذكرتها. فقط، عندما وعد رئيس العشّارين ذاك: «هأنذا يا ربّ أعطي المساكين نصف أموالي وإن كنتُ قد غَبَنْتُ أحداً في شيء أردّ أربعة أضعاف»، أكّد الربّ: «اليوم حصل الخلاص لهذا البيت» (لو ١٩: ٨ و٩).

أمّا نحن فعلى العكس، نأخذ بلا حدود ونعطي القليل معتقدين أنّنا بهذا نُبطل الظّلم ونُرضي الله. لكن إن كان قايين الذي قدّم قرباناً لله من منتجاته السيّئة قد عوقب بشدة من دون أن يظلم أحداً، فكيف لن يصيبنا الأسوأ ونحن نقدّم الفتات من أملاك الظلم والطّمع لقريبنا الفقير، أي للمسيح نفسه؟ لماذا تهين الربّ وأنت تقدّم له تقدمات صغيرة؟ مثل هذا الطعام لا يقبله حتى لو كان يموت جوعاً. الأفضل ألاّ تعطيه شيئاً بدلاً من أن تعطيه أشياء تخصّ الآخرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أهلاً لمعاينة هذا السرّ عندما أصبح الله إنساناً، وكان أن نطق بنبوّة عن العذراء «وأنتِ أيضاً يجوز في نفسكِ سيف» (لو ٢: ٣٥).

إنّه لأمرٌ إستثنائي أن ينال الإنسان بركةً ويحصل على وعدٍ إلهيّ كما حصل مع سمعان. ولكنّه لأمرٌ إستثنائيٌّ أيضاً أن يشتعل شوقٌ إلهيٌّ في قلب إنسانٍ معاصر. إنّ أيّ أمر مماثل في عصرنا هذا قد يُعتبر ضرباً من الجنون أو ترّهاتٍ. المردّ الوحيد لذلك هو الفتور في علاقة البشر مع الله وبالتالي بُعدُهم عنه. لكن من واجبنا أن ننتبه إلى أنّ شوقاً كهذا يجب أن لا يرتبط بوعد شخصيّ من الله. إنّنا جميعاً موعودون ومدعوّون إلى مجد الله وألوهيّته، إذ صار الإله إنساناً ليصير الإنسان إلهاً بحسب قول القديس أثناسيوس الكبير. لسنا مجرّد مدعوّين إلى معاينة ظرفيّة عابرة لشخص المسيح وإنّما نحن مدعوّون لأن نكون معه في ملكوته وأن نتألّه بقربنا منه. لهذا السبب يجب أن يشتعل الشوق، الذي كان لسمعان، في قلب كلٍّ منّا. إنتظار المجيء الثاني والحياة الأبديّة، هو شوقٌ لا محدود للذين يحيون مع المسيح. لا نتحدّث عن فرضيّاتٍ ونظريّات إنّما عن تعاليم الكنيسة المعاشة منذ القديم. يندرج ضمن هذه التعاليم نصّ الرسالة التي تُقرأ في الكنيسة في هذا الأحد المبارك والتي ترسم الطريق المؤدّي إلى بلوغ هذه النعمة. «كُن مثالاً للمؤمنينَ في الكلامِ والتصرُّفِ والمحبَّةِ والإيمانِ والعفاف. واظِبْ على القراءة إلى حين قدومي وعلى الوَعْظِ والتَّعليمِ ولا تُهمل الموهبة التي فيك التي أُوتيتَها... لاحِظْ نفسكَ والتَّعليمِ وداوِمْ على ذلك، لأنَّك إذا فَعَلْتَ هذا، تُخلِّصُ نفسك والذين يسمعونَك أيضاً» (١ تيمو ٤: ١٢-١٦).

في نصّ هذه الرسالة نجد الوصفة المثاليّة لبلوغ هدفنا بتحقّق الوعد لنا عبر المشاركة في مجد الله. قد يطرأ الكثير من المتغيّرات بسبب طبيعة الحياة أو العمل أو التطوّر الإجتماعي. لذلك يقول الرسول بولس «لاحِظْ نفسك» وكأنّ الرسول يدعونا إلى تقييم الذات بشكل مستمرّ لكي لا تزلّ أقدامنا أمام التجارب. بهذه الطريقة يكون الإنسان مستقيم السيرة مرضيًّا عند الله ليتمَّ هذا الشوق وينال إكليل الظفر على قول الرسول بولس «لأنَّكم قد مُتُّم وحياتُكم مُستترةٌ مع المسيح في الله. متى أُظهِرَ المسيحُ حياتُنا، فحينئذٍ تُظهَرونَ أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ٣-٤).

سهرانية

بمناسبة وداع عيد دخول السيد إلى الهيكل تُقام سهرانية عند السابعة والنصف من مساء الجمعة ٨ شباط ٢٠١٣ في كنيسة دير دخول السيدة إلى الهيكل في الأشرفية. تبدأ السهرانية بصلاة الغروب تليها صلاة السَحَر ثم القداس الإلهي.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb